العلاقات السعودية الصينية

بقلم: د. صالح بن حمد الصقري - الملحق الثقافي السابق في الصين

شهدت العلاقات السعودية الصينية تطوراً كبيراً نوعاً ومستوى، كماً وكيفاً، منذ أن وصل خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز إلى الحكم في عام ٢٠٠٥م، حيث بدأ أول زياراته الخارجية إلى الصين وهي أول زيارة رسمية على أعلى مستوى، ثم بادله الرئيس الصيني السابق الزيارة إلى المملكة، وتوالت بعد ذلك الزيارات والتكامل بين البلدين على عدة مستويات، سياسية، واقتصادية، وثقافية، وقبل الدخول في تفاصيل هذه العلاقات وبخاصة في المجال الثقافي أحب أن أقف عند بعض النقاط:

أنه ما من شك أن العلاقات بين البلدين قد تأخرت كثيراً لظروف سياسية لا مجال لذكرها الآن.

أن خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله أراد من زيارته الأولى تأكيد أمرين هامين هما:

أولاً: إعادة التوازن في مبدأ العلاقات الدولية، فبينما كانت البوصلة في هذا المجال متجهة غرباً أدار خادم الحرمين الملك عبدالله البوصلة شرقاً من دون الإضرار بالعلاقات في جميع الاتجاهات وهذا أول مرة يحدث في تاريخ المملكة العربية السعودية.

ثانياً: أنها تبين عمق النظرة

◆ بعد زيارة خادم الحرمين الشريفين إلى الصين شهدت العلاقات السعودية الصينية تزايداً ونمواً في كل المجالات.

الاستراتيجية البعيدة لخادم الحرمين الشريفين تجاه علاقة المملكة العربية السعودية بأقطاب القوى الكبرى العالمية.

ثالثاً: تأكيد دور المملكة العربية السعودية الوسطي والمتكافئ والعادل الذي من الممكن أن تقوم به في تخفيف حدة الصراعات والأزمات العالمية والمساهمة بما تملكه المملكة من أرث ديني وسياسي وحضاري في نشر السلام، والدفع بحوار الحضارات بدلاً من صراع الحضارات.

لقد مضت المملكة في علاقاتها بالصين إلى أبعد وبأسرع وتيرة شاملة جميع المجالات ومعوضة عن التأخر الحاصل في العلاقات في الفترة السابقة، إن الاختبار الحقيقي لصدق العلاقة ومتانتها يأتي غالباً في وقت الأزمات، وهذا ما حدث بالفعل أثناء الكارثة الطبيعية التي حلت بالصين بحدوث الزلزال الضخم، وكانت أولى الدول التي أعلنت تضامنها المعنوي والمادي هي المملكة العربية السعودية، وكان وقوف المملكة له أثر ليس على المستوى الحكومي فقط، وأنما على المستوى الشعبي، فكل فرد من المليار يعرف ويشكر ما قدمته حكومة المملكة بقيادة خادم الحرمين، من تبرع سخي لا يزال يذكر حتى الآن، واختصر سنين طويلة من العلاقات، وكما قيل الصديق وقت الضيق، وجزى الله الشدائد كل خير .....

وأنا هنا لست في مقام الحديث عن جميع المجالات، ولكن سأركز في جانب مهم تشرفت بأن أكون أحد المساهمين والمؤسسين لهذا الجانب وهو مجال العلاقات والتواصل الثقافي والحضاري بين البلدين الصديقين.

العلاقات الثقافية

لقد تسارعت وتيرة العمل على تأسيس علاقات ثقافية مشتركة بخطى سريعة وعملية تركزت في الأمور التالية:

أولاً: الملحقية الثقافية

العلاقات السعودية الصينية

السعودية :

ثم إنشاء المحلقية الثقافية في بكين في منتصف عام ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م. وقد تم تعييني أول ملحق ثقافي سعودي في الصين. وقد كانت مهامها تتلخص في أمرين هامين هما:

- الإشراف على الدفعة الأولى من الطلبة المبتعثين على برنامج خادم الحرمين الشريفين للابتعاث الخارجي. وكان العدد لا يتعدى ٨٠ طالباً معظمهم في تخصص الطب وبعد ذلك تواصلت زيادة عدد الطلبة في الصين حتى وصل إلى ١٢٠٠ طالب. في أثناء فترة عملي في الملحقية.. وكانت الدراسة في جميع التخصصات العلمية والإدارية والاقتصادية. واستطاع طلابنا ولله الحمد. وبكل فخر واعتزاز الحصول على المراكز الأول في عدد من أعرق الجامعات الصينية في بكين وشنغهاي وشاندوف. وتيانجين. سواء على المستوى الأكاديمي. أو على المستوى الثقافي فيما يتعلق بالأيام الثقافية المتعلقة بحوار الحضارات والشعوب. وقد حصل جناح الطلاب السعوديين على المركز الأول في جميع الجامعات التي أقيمت فيها الاحتفالات الطلابية وقد ساعدتهم الملحقية الثقافية بتزويدهم بما يحتاجون إليه من معلومات وصور وغيرها. وقد أبهروا الصينيين والطلاب الأجانب.

- بما أن الدراسة باللغة الصينية فقد أصبح الطلاب يشاركون في الترجمة في الزيارات العلمية والتجارية. وبعضهم أصبح من رجال الأعمال يستفيدون من التبادل التجاري بين البلدين الصديقين. وقد كان طلابنا السعوديون هم الذين يقومون بدور الترجمه والتعريف والعلاقات العامة في جناح المملكة في معرض اكسبو العالمي في شنغهاي في عام ٢٠١١م.

ثانياً: الاتفاقيات العلمية:

في اليوم الأول الذي وصلت فيه إلى بكينوتسلمت مفتاح الملحقية وصلتني برقية عاجلة تفيد بأن وفداً مكوناً من معالي وزير التعليم العالي. ومديري جامعات المملكة ووكلاء الوزارة وعدد من أساتذة الجامعات بزيارة عمل إلى الصين بعد عدة أشهر. لتوقيع اتفاقيات مع الجامعات في جميع التخصصات. وطلب مني الترتيب لهذه الزيارة وبقدر ما أفرحني هذا الأمر إلا أنه كان بالنسبة إلي يمثل تحدياً ضخماً فأنا لا أعرف الطريق إلى مكان عملي وسفارتي فما بالك الطريق إلى الجامعات الصينية في بكين. أو خارج بكين التي يبعد بعضها أكثر من ٤ ساعات بالطائرة. والتي يصل عددها اكثر ٥٠٠٠ جامعة. ولا شك كنت أعوم في بحر مجهول لم يسبقني أحد بالسباحة فيه.

وبدأت الوفود الجامعية تتوافد لترتيب الاتفاقيات العلمية ووصل معالي الوزير ومعه أكثر من عشرة من المبشرين بمستقبل واعد من مديري الجامعات ووكلائها ورؤساء الأقسام فيها. وتم ترتيب حفل في ليلة علمية رائعة. شارك فيها من الجانب الصيني وزير التربية والتعليم وعدد ضخم من المسؤولين والمفكرين وأساتذة الجامعات. وتم توقيع أكثر من ٢٩ اتفاقية علمية.

وكانت هذه الليلة تعد من أهم الليالي العلمية التي مرت علي في تاريخي. وقلت في تلك الليلة لو لم يكن لي نصيب في حياتي العلمية والعملية إلا هذه الليلة لكفاني طوال تاريخي. ولا شك أن هذا الشرف العلمي الذي أحاط برقبتي ما كان ليتم لولا توفيق من الله سبحانه وتعالى. ثم الدعم المادي والمعنوي المنقطع النظير من قبل حكومة خادم الحرمين الشريفين حفظه الله.

ولأن هذه الزيارة العلمية وما تمخضت عنه من نتائج عظيمة على المستوى العلمي والتقني في كلا البلدين المملكة والصين. فإنني بصدد الانتهاء من بحث خاص بذلك بعنوان: (رحلة الوزير إلى بلد الحرمين إن شاء الله).

ثالثاً : إنشاء فرع مكتبة الملك عبدالعزيز في جامعة بكين :

والآن هي في طور الانتهاء وهي هدية أيضاً من خادم الحرمين الشريفين للصين قدمها أثناء زيارة لها. وستكون هذه المكتبة أكبر

مبنى للتنوير والتواصل الحضاري بين الشرق والشرق وحتى بين الشرق والغرب.

رابعاً : إقامة احتفال ضخم لجائزة خادم الحرمين الشريفين :

في مجال الترجمه وكان من بين الحاصلين على الجائزة أحد العلماء الصينيين وقد عقدت أول مرة في تاريخ الصين.

خامساً: إقامة جناح المملكة في المعرض العالمي "اكسبو" :

في شنغهاي وحصول جناح المملكة على المركز الأول في التميز بالمعرض الثقافي لحضارة المملكة، وقصة تأسيسها، وكانت الطوابير تصطف لساعات لدخول هذا الجناح، وكان طلابنا السعوديون هم من يقوم بدور الترجمة والتعريف به، وهذا الجناح له قصة لوحده تحتاج إلى تأليف خاص.

سادساً : إقامة الأيام الثقافية عن طريق وزارة الثقافة والإعلام :

وكذلك إقامة المعارض العلمية، وقد حضر في السنة الأولى ١٥ جامعة صينية في معرض التعليم العالي في المملكة، ثم وصل العدد فيما بعد إلى أكثر من ٣٥ جامعة وتم وضع برنامج لهم للاطلاع على ما تعيشه المملكة من تطور حضاري وعلمي غير مسبوق.

سابعاً: لقد كانت هناك هجرة معاكسة من الصين إلى المملكة فقد استطعنا ولله الحمد استقبال أكثر من ٢٠٠ طالب وطالبة من الصين للدراسه في المملكة وفتحت أبواب الجامعات في المملكة لهم للدراسة في جميع التخصصات.

اللغة العربية في الصين

هذه ايضاً لها قصة لوحدها فيوجد أكثر من ٣٢ أديباً أولها في عام ١٩٤٥م وعدد الطلاب الصينيين الذين يتعلمون هذه اللغة ٣٠ ألف طالب، بما فيها المدارس في المناطق الإسلامية المتوزعة في جميع الأنحاء، وهناك زيارات متبادلة وبرامج علمية بين الجامعات والمؤسسات التعليمية بالمملكة والصين من كتب وأستاذة وسيكون هناك شهر باسم شهر اللغة العربية في الصين، يتم الإعداد له حالياً من قبل مركز الملك عبدالله الدولي لنشر اللغة العربية.

ولعل الحدث الأبرز في هذا المجال هو إدخال مادة اللغة العربية في المدارس الثانوية، ويتشرف كثرة بافتتاح أول فصل في ذلك، لقد قدر الصينيون على المستوى الرسمي والشعبي هذه الجهود من قبل المملكة، وما كانت لهذه العلاقات العلمية والثقافية أن تصل إلى هذا المستوى لولا الترحيب من قبل الجانب الصيني في ذلك، والانفتاح الذي تشهده الصين على العالم بشكل عام وعلى المملكة بشكل خاص، بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك فتقدمت ٣ جامعات صينية عريقة بطلب إنشاء كراسي ومراكز علمية باسم خادم الحرمين الشريفين أبرزها كرسي الملك عبداله لحوار الحضارات والسلام.

لقد شرفني الصينيون بتكريمي بعد انتهاء علمي بمنحي وسام السفير الأول للثقافة العربية في الصين، وذلك في جامعة بكين للغات والثقافة ومنحوني عضوية مركز نشر الثقافة العربية لمدة ٣ سنوات، كما رشحتني جامعة السياسة والقانون للعمل لديها أستاذاً غير متفرغ لمدة ٣ سنوات أيضاً لتدريس مادة العلاقات الدولية كأول أستاذ عربي وسعودي في الصين، وهذه الأوسمة لم تكن تكريماً لشخصي وإنما هي لوطني وبلادي بلاد الأمن والأمان والشموخ والكبرياء والأصالة والحضارة المملكة العربية السعودية بقيادة خادم الحرمين الشريفين رجل السلام وضمير الإنسانية، وولي عهد الأمين صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز رجل التاريخ والثقافة وخبير السياسة ومهندس الرياض التي تخرجت في أحد أحيائها من منفوحة ودخنة والديرة إلى الصين «السلاتون» في بكين، ومن طريق البطحاء قديماً وشارع المؤسس والموحد الملك عبدالعزيز رحمه الله إلى شارع سور الصين العظيم.

ألم أقل لكم إن مقولة «أطلب العلم ولو في الصين» لم تحقق إلا في عهد خادم الحرمين الشريفين، وعلى يديه ورؤاه وفكره الثاقب، ويكفي أنه أرسل حفيده الأمير محمد ابن وزير التربية والتعليم فيصل بن عبدالله للدراسة في الصين، أول طالب من أحفاد الملك عبدالعزيز في تلك الديار البعيدة.

• الملحق الثقافي السابق بسفارة المملكة بجمهورية الصين الشعبية .